بُرْهان يُحلِّق بعيداً

جونيلا بيرجسترم



دار المنى

Dar Al-Muna, Stockholm 2004

Original text in Swedish published by R & Sjögren
"Flyg!, Sa Alfons Åberg"
Arabic text: Ibrahiem Abdulmalik

Published by agreement with Pan Agency
Printed in Denmark
ISBN 91 85365 05 X

Dar Al-Muna
Box 127
S 182 05 Djursholm, Sweden
Fax 0046 8 622 61 51

بُرْهان يُحَلِّقُ بعيداً

جونيلا بيرجسترم

النص العربي: إبراهيم عبد الملك

دار المنى

هذا بُرْهان، وعُمرُهُ خمسُ سنوات.
لقد كان يَلعَبُ لتوّهِ ويمْرَحِ، وأصبَحَ المكانُ غيرَ مرتّب.
ـ"أيجبُ أن تكونَ طُفوليّاً إلى هذا الحدّ!" عاتَبَه والدُه، "انظُرْ ماذا فَعَلتَ!
كلّ ما حولك مُبَلّلٌ تماماً، وفُتاتُ الأكْلِ يملأ الغرفةَ. غيرُ معقولٍ
أن يلْهُوَ المرءُ ويلعبَ طوالَ الوقتِ..."
أما والدُ بُرْهان فهو يُسجّلُ قائمةً مهمّةً بنواقص البيتِ، وكان على وَشَك
أن ينسى شيئاً أراد أن يُضيفَه إلى القائمةِ.
ـ"عليكَ الآنَ أن تُرَتّبَ المكانَ، وأن تتصرّفَ بقليلٍ من *النُّضجِ*."





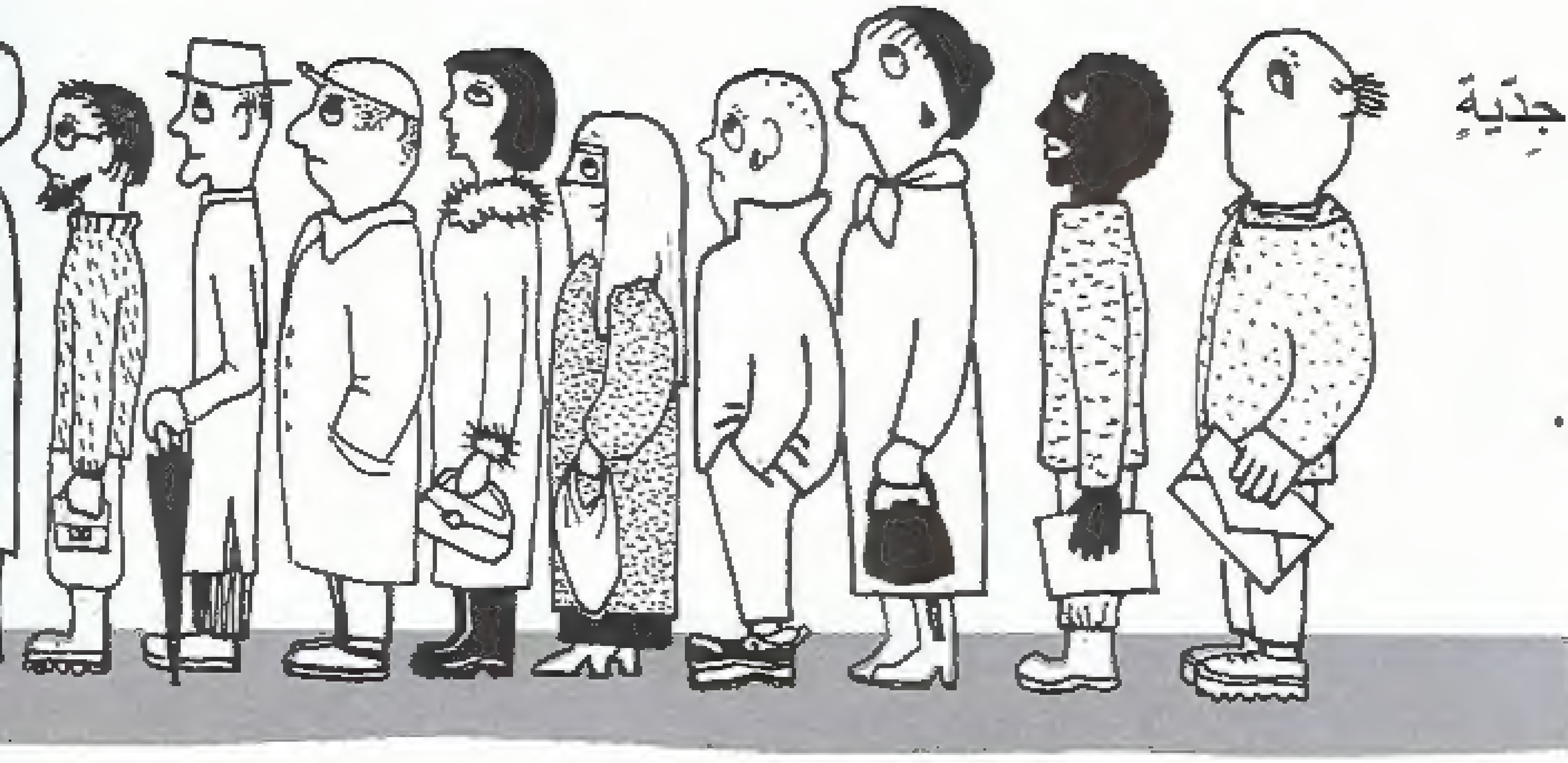
نَعَمْ، فوالدُ بُرْهان يتصرّفُ دائماً بنُضجٍ، ويفعلُ دائماً أفعالاً ناضجة ومهمّة:



... يأخذُ الدرّاجةَ الناريّةَ للفحصِ

... يُتابِعُ بِحرصٍ نتائجَ مبارياتِ كُرةِ القدمِ على الراديو.





... ويقفُ بانتظامٍ وجِدّيةٍ
في الطابورِ
في المحلاّتِ وفي
مكتبِ البريدِ والبنكِ.

ثمّ إنّ والدَ بُرْهان يقرأُ أوراقاً صعْبةَ الفهْمِ
كأوراقِ الضرائبِ وحسابِ المَصْرفِ ووصفاتِ الطبيبِ
ويدفعُ أيضاً تأمينَ البيتِ...



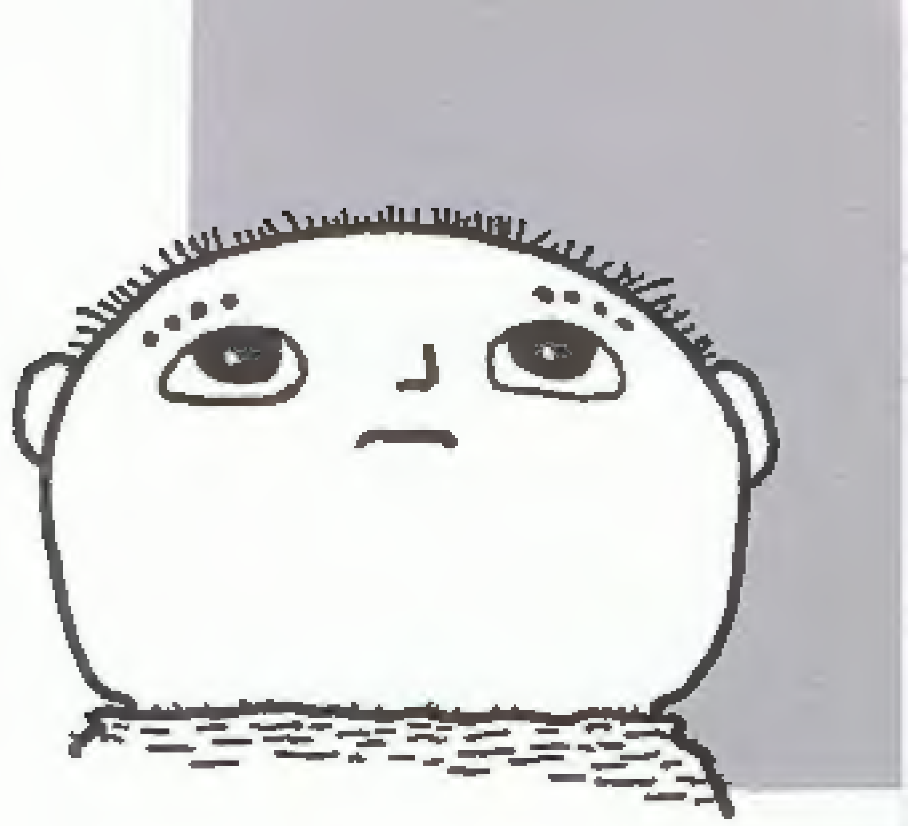
... ويتَكلّمُ مُكالماتٍ هاتفيةً
مُعَقّدَةً وجدّيةً لا يفْهمُ
بُرْهان منها شيئاً.



... ويُهيّئُ قوائمَ المُشتَرَياتِ.
ويُسَجّلُ كُلَّ الأشياءِ المُهِمّةِ
التي يجبُ القيامُ بِها.



أمورٌ كثيرةٌ ناضجةٌ، مُهِمّةٌ
وجِدّيةٌ تماماً.



بُرْهان يريدُ أن يكونَ مثلَ والِدِهِ! ناضجاً وجاداً.
لكِنَّهُ غالباً ما ينسى نفسَهُ...

فَيَمشي أحياناً على السّياجِ مُتَخيّلاً نفسَهُ كمُهَرِّجٍ
يسيرُ على الحبلِ ــ عالياً ــ في سيركٍ ما...



ويُجْري معركةً بين كُراتِ
اللحمِ المفرومِ والسباغيتّي،
وهكذا يتوَجَّبُ إبعادُ كُراتِ
اللحمِ العَدُوَّةِ خارجَ الصحنِ،
بعيداً إلى الطاولةِ...



أو يَسحبُ خَلفَهُ الشال ــ كحزامٍ يربطُ في نهايتِهِ كلباً صغيراً لَهُ،
واسمُ الكلبِ سيكو ــ فيُلَطِّخُ الطينُ الشالَ بسببِ الأوساخِ وبِركِ الماءِ
الصغيرةِ في الطريق...

"تصرّفاتٌ طُفوليّةٌ!" يُغَمْغِمُ والِدُ بُرْهان
عندما يرى الشالَ المُلَطَّخَ.
ــ"هل يجبُ أن تكون طُفولياً
إلى هذا الحدِّ؟!"
يُرَدِّدُ والدُ بُرْهان مُتَنَهِّداً.



اليومَ يبدو الجدُّ علي والدِ بُرْهان بينما هو يُدَوِّنُ قائمةَ الأشياءِ المنسيّة.
والدُ بُرْهان لم يتمكّن من أن يتذكّرَ الشيءَ الذي كان عليه تذكُّرُه.
لقد كانَ شيئاً ما...
شيئاً مهماً يجبُ عليه أن يُسجّله...
ـ" يا إلهي، ماذا كان...؟" يتساءلُ ويفكّر.
بُرْهان يرى حيرةَ والدِه وهمّه.
لذلك بدأ يُنَظِّفُ ويكنسُ ويمسحُ ويرتِّبُ بعدَ أن انتهى من اللَّعِبَ. بُرْهان يفكِّرُ في أنّه لأَمرٌ مُزعجٌ أن يكون الآباءُ مهمومين. كلُّ شيءٍ يبدو رتيباً وساكناً...
بُرْهان يُشفِقُ على والدِه.
ـ"لماذا أنتَ ناضجٌ إلى هذا الحدِّ؟" يسألُ بُرْهان والدَهُ بحذَر.
لكنَّ والدَ بُرْهان شاردُ الذهنِ يفكِّرُ. تُرى، ماذا كانَ سيُدَوِّنُ...؟
يُنهي بُرْهان التنظيفَ. ولكن، ليْته يتمكّنُ من إسْعادِ والدِه!







نَعَم..! الآنَ يعرفُ كيْف.
بُرْهان يبحثُ في الخِزانةِ عن الستائرِ القديمةِ وبعضِ الأقمشةِ.
يجلبُها كلَّها، ويسارِعُ عائداً إلى والدِه.. ربما سينجَحُ
في إسْعادِه؟!!





ــ"أنت لست بحاجة أن تكون "نضجاوياً" دائما يا أبي! هيّا! نستطيعُ أن نلعبَ معاً! نستطيعُ أن نرتدي ملابسَ أُخرى.." يقولُ بُرْهان لوالدِهِ ويبدأُ في تغطيتِهِ بإحدى الستائرِ..

لكنَّ والدَهُ ظلَّ يُفكِّرُ مهموماً:

ــ"ما الذي كانَ عليه أن يتذكّرَه؟"





بَعدَها يُحضرُ بُرْهان بعضَ زينة شجرةِ عيدِ الميلاد وكذلكَ سلسلة سِدادةِ الحوضِ، ففي الإمكانِ تحويلُها إلى جواهرَ وقِلادة.
يأتي أيضاً بالمرآةِ ــ كي يستطيعَ والده رؤيةَ ملبَسهِ الجديدِ.

ــ"لا تَكُنْ ناضجاً. انظُرْ! ضَعْ هذه.. سيكون شكلُكَ لطيفاً يا أبي! ستصبحُ كسيِّدَةٍ عجوزٍ!" يقولُ بُرْهان لوالده.





ما هذا!!

لم يستطعْ والدُ بُرْهان إلا أن يضحكَ قليلاً، عندما رأى شكلَهُ في المرآةِ.
سيدةٌ عجوز! لَكَمْ يبدو مُضحكاً.. فكّر والدُ بُرْهان وهو ينظرُ
إلى نفسه في المرآة مرّةً تِلو المرّة.
بُرْهان يلُفُّ نفسَهُ بالسّتارةِ الثانية وفي نيّتِهِ أن يُصبِحَ شَبَحاً.
والدُه يريدُ الآن القبّعةَ الكبيرةَ الموضوعةَ في أسفلِ الخزانةِ.
ـ"أحضرْ تلك القُبَّعةَ المُضْحِكة يا بُرْهان!" يرجوه والدُه.
ثُمَّ يُنادي مرّةً أُخرى قائلاً:
ـ واجلُبْ معكَ أحمرَ شفاه عمّتِكَ فيفي الذي نسيتْهُ في دُرجِ خزانةِ الممرّ!
فجأةً يصبحُ لدى بُرْهان ووالدِه الكثيرُ لِيَفعَلاه. صارا يُجَرِّبانِ ويُغيِّرانِ
وينظران في المرآةِ ويَتَزيَّنان.
بُرْهان يريد أن يتحوّلَ إلى شَبَح. ووالدُه يريدُ أن يكون سيّدةً عجوزاً..
لطيفةً وأنيقةً..





هكذا يبدو الآن والدُ بُرْهان.
ـ"ترالاَ لا لا.."، يبدأ والدُ بُرْهان يرقصُ ويتلوّى ويُغَنّي:
" يا سلام... سلِّمْ!! تاترا تارا ري..."
يَتَبخترُ والدُ بُرْهان ويرقصُ مُقلِّداً العجائزَ بِقُبَّعَتِهِ والشالِ وأحمرِ الشفاه على فَمِهِ. سلسلةُ سدادةِ الحوضِ ـ تخشْخِش كالقِلادة، وهو يُغَنّي بِكُلِّ مَرَحٍ:
ـ" يا سلام سلِّم..."
فيقولُ بُرْهان:
ـ" إن كانَ في وسعنا أن نكونَ كالعجائزِ، فإننّا نستطيعُ أن نَطيرَ أيضاً، ونُصبحَ شَبَحيْنِ طائرَيْنِ!
ـ" طبعاً، هذا أكيدٌ!" يُجيبُهُ والِدُهُ ويُطفئُ الأضواءَ ويَرمي...





... القِلادةَ والقُبَّعَةَ وزينةَ العجائزِ.
إنهما يرَفْرِفان كالأشباحِ في العتمة.
–" هووووووووا!!!!!!!"، يدَمدِمُ والدُ بُرْهان.
فيرُدّ عليه بُرْهان:"بوووووووووو!!!!!!!!!!!"
–"يُريدُ شبَحي أن يمضيَ بعيداً، بعيداً جداً. إلى الخارجِ!
حتى يصلَ إلى الفَضاءِ..!
–"إلى الفضاءِ؟" يُدَمدِمُ والِدُهُ الشَّبَحُ.."إذاً سنصبحُ شبَحينِ فضائيَّينِ،
وننطلقُ نحوَ كواكبَ غريبةٍ.."



لمِ يصِلا إلى هذا المكانَ من قبل!!
إنهما يشاهدان الغيومَ والعديدَ من الشموسِ
وكواكبَ مهجورةً هادئةً..
يُشيرُ والدُ بُرْهان إلى المرّيخ والمُشتَري.
ـ"انظُرْ! وهناك ملاك!" يقول بُرْهان



—"إنني لا أرى أيّ ملاك!" يهمسُ والدُ بُرْهان.

— "لا بُدَّ أنَّهُ موجودٌ فقد رأيتهُ توّاً!" يُوَضِّحُ بُرْهان.

عندَها يبتسمُ الملاكُ، ويُلَوِّحُ لهما قبلَ أن يطيرَ مُبتَعِداً.

وفجأةً يصيحُ والدُ بُرْهان مُرتَعِباً:

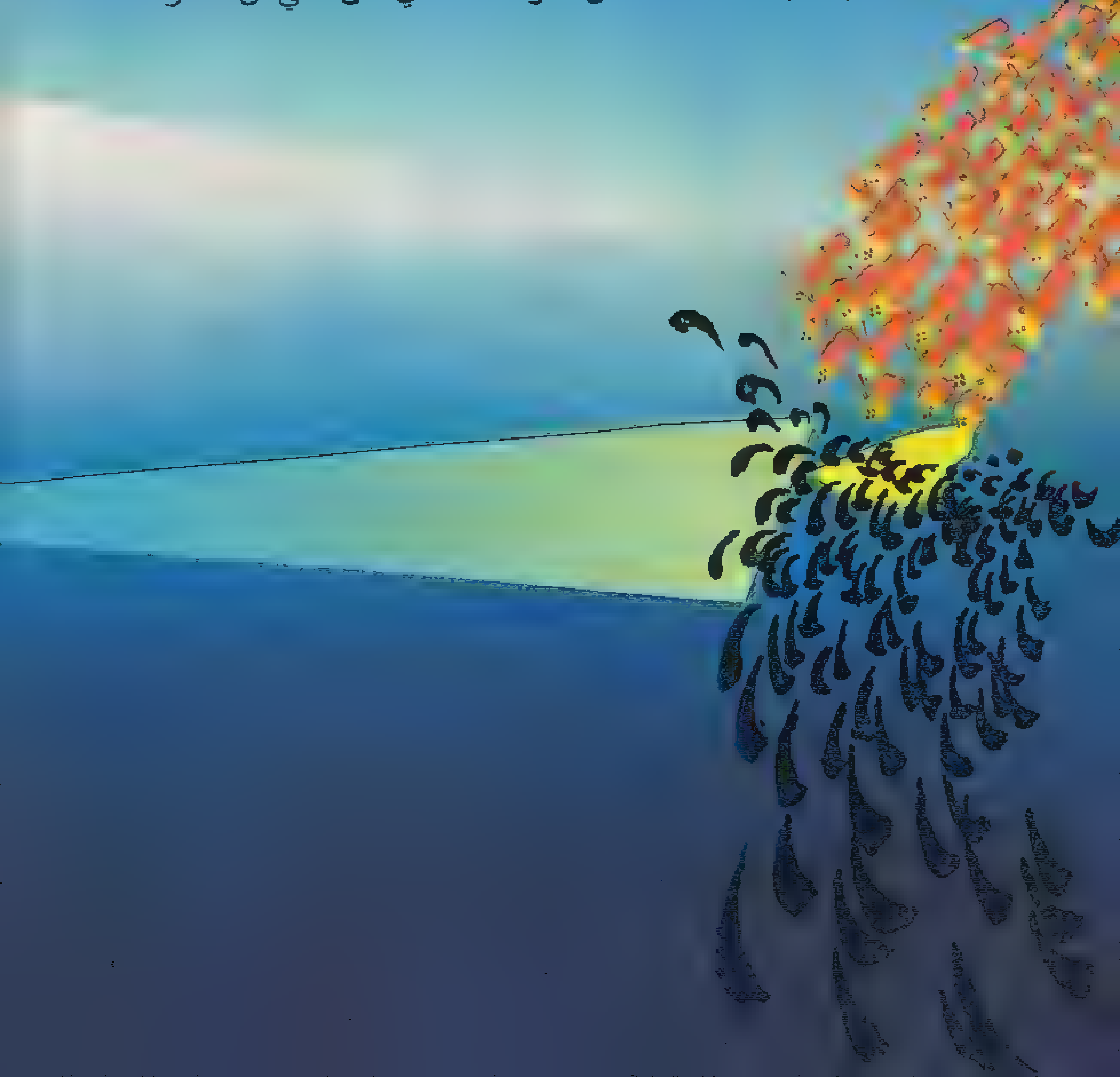
—"إنّي أرى كائنات صغيرةً مُضيئةً مُتَّجِهَةً إلى هنا! كائناتٌ صغيرة، غاضبةٌ ومضيئةٌ! أرى الكثيرَ الكثير منها، إنها جيشٌ بأكمله!"

—"إنّهم الفضائيّون" يهمسُ بُرْهان، "وهم ينوون الهجوم."

—"النّجدة! يجب أن نُطفئَ أضواءهم." يهمس والدُه ويقول آمراً: "أينَ رشّاش الماءِ يا بُرْهان! رشّاش الزهورِ.. أحضرْه حالاً.."



ـ'بششش بششش... نعم هكذا. المخلوقاتُ الفضائيّةُ تنطفئ.' يهتفُ بُرْهان.
ـ"عظيم، أحسنت.. زالَ الخطرُ." يقولُ والدُهُ مُتنفّساً الصُّعداء. "لقد كانت لديهم أضواءٌ مخيفةٌ وغاضبةٌ ـ كالمصابيحِ الصغيرةِ ـ ' يهمسُ والدُ بُرْهان.
ـ'لكنها انطفأت الآن." يقول بُرْهان مطمئناً والدَه.
يصمتُ والد بُرْهان فجأة. ثمّ يصيحُ بأعلى صوته:
ـ'انْطفـ..." ويُفَرِّقُ بيديهِ النجومَ ويُبْعِدُ الكواكبَ وهو في غايةِ السعادةِ ، "انْطفأت!! بالضبط.. تماماً.. الآنَ أعرفُ ما الذي كان عليَّ أن أتذكَّره!"







ـ"شِراءُ المصابيحِ! هاهاهاها! مصابيحُ الإنارةِ. يا للروعة!
سأُدَوِّنُها حالاً! من حُسن الحظِّ أننا لَعبنا مع المخلوقات
الفضائيةِ وأطفأنا أضواءها.. المخلوقاتُ الفضائيةُ هي التي ذَكَّرَتني..."
والدُ بُرْهان سعيدٌ جداً، ولَقَد نسيَ تماماً أن يكونَ (ناضجاً).
وبُرْهان سعيدٌ أيضاً. لأنهُ ووالدَه لَعِبا معاً وبلّلا كلَّ الأشياءِ برشّاش
الماء وأمضيا وقتاً ممتعاً...

الآن يرى بُرْهان ما لا يستطيعُ والِدُه أن يراه: أن أحمرَ الشِّفاهِ
ما زال على فَمِهِ. كم يبدو والدُ بُرْهان مُضْحِكاً..
إنّه لا يبدو ناضجاً على الإطلاق...



يَوَدُّ بُرْهان لو كان كوالدِه، ناضجاً وجادّاً.
لكنَّهُ ينسى نفسَهُ فيبدأُ اللعبَ بدل ذلك.
اليوم يشتركُ والدُ بُرْهان نفسُه في اللَّعِبِ!
لكنَّ ذلك من حُسنِ حظِّهِ بلا شكّ...



دار المنى